في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع
له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقذاره وقيل المراد منه تخفيف اعبا
النبوة التي تثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة
على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه
حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل
عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة
ابراهيم وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك
الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه
السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه
فما ايقظه الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم
في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعد الشفاعة في الاجل
واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس
اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك
ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وقيل
المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيات
المقربين ترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في
اباحة الفعل وقال السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها
فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع
النعم من الله تعالى على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيئان
سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله

ويتم

ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك
صراطا مستقيما ودنيوية وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم
بذلك تعظيم امر النبي صلى الله عليه وسلم وقدره باتمام انواع نعم الله تعالى
عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه
باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك
وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم يكن
ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه
صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل
او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في الخلوة
والسر يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوال
الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك
انتهى واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية
انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال
المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت ولا
يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين
والمنافقين حاشاه الله تعالى من ذلك وانما امره الله تعالى بتقوى توجب استدامة
الحضور واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد
علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه
تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى
فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت
فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا
ولم يقل بما تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه
الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم
به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوي قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار
فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤسا
الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله

Copyright King Saud University